

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[122] المادية الشخصية إذ يقول سبحانه عنهم: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا لِّئَلَّا يَأْكُلُوا فِي بَطُونِهِمْ إِلَّا ذُرًّا عَذْوًا ثُمَّ أُنزِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْكِتَابُ) (البقرة: 174). وسيمثلون سعيًا). و"يصلون" من "الصلوة" بمعنى الدخول في النار والإحراق بلهيبها، وأمّا "السعي" فبمعنى النار المشتعلة. ويقصد القرآن من هذه الجملة إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ إِنْ لَيْسَ لَهُمُ الْوُجُوهُ السَّامِيَّةُ فَسِيقَافُهَا فِي النَّارِ (البقرة: 182). في هذه الدنيا سيدخلون عمّا قريب ناراً مشتعلة الأوار وحارقة الذهب في الدار الآخرة. ويستفاد من هذه الآية أن لأعمالنا مضافاً إلى وجهها الظاهري وجهاً واقعياً أيضاً، وجهاً مستوراً عنّا في هذه الدنيا، لا نراه بعيوننا هنا، ولكنّه يظهر في العالم الآخر، وهذا الأمر هو ما يشكل مسألة تجسم الأعمال المطروحة في المعتقدات الإسلامية. إِنَّ الْقُرْآنَ يَصْرَحُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ طُلُمًا وَجُورًا، وَإِنْ كَانَ الْوَجْهُ الظَّاهِرِيُّ لِفَعْلِهِمْ هَذَا هُوَ الْأَكْلُ مِنَ الْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ الْمَلُونَةِ، وَلَكِنَّ الْوَجْهَ الْوَاقِعِيَّ لِهَذِهِ الْأَعْزِيَّةِ هُوَ النَّارُ الْمُحْرَقَةُ الْمَلْتَهَبَةُ، وَهَذَا الْوَجْهُ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ وَيَتَجَلَّى عَلَى حَقِيقَتِهِ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ. إِنَّ بَيْنَ الْوَجْهِ الْوَاقِعِيِّ لِلْعَمَلِ وَالْكَافِيَةِ الظَّاهِرِيَّةِ لِلْعَمَلِ تَنَاسُبًا وَتَشَابُهًا دَائِمًا، فَكَمَا أَنَّ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ وَغَصْبَ حَقِّهِ يَحْرِقُ فُؤَادَ الْيَتِيمِ، وَيُؤْذِي رُوحَهُ، فَكَذَا يَكُونُ الْوَجْهُ الْوَاقِعِيُّ لِلْعَمَلِ نَارًا مُحْرَقَةً. إِنَّ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ (أَيِ الْوَجْهِ الْحَقِيقِيِّ الْوَاقِعِيِّ لِكُلِّ عَمَلٍ) خَيْرٌ رَادِعٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهَذِهِ الْحَقَائِقِ، كَيْمَا لَا يَرْتَكِبُوا الْمَعَاصِيَ وَلَا يَقْتَرِفُوا الذُّنُوبَ، فَهَلْ يَوْجَدُ ثَمَّةٌ مَنْ يَحِبُّ أَنْ يَأْخُذَ بِيَدَيْهِ قَبَسَاتٍ مِنَ النَّارِ، وَيَضَعُهَا فِي فَمِهِ وَيَبْتَلِعُهَا؟ _____ 1 - البقرة، 174.